

# الاسلام والسيف !

للأستاذ محمد كامل حته

« مهداة إلى الأستاذ خليل جمعة الطوال »

—>>><<<—

إن من الجناية على الحق والافتراء على التاريخ أن يقول قائل إن الإسلام قد انتشر بالسيف ! أي سيف كان يحمل محمد ، وهو الأعزل الذي لا حول له ولا قوة ، الوحيد الذي لا ناصر له ولا معين ، يتاله السفهاء بالأذى فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ويأتمر به قومه ليقتلوه فيفر بحياته إلى يثرب ؟ ...

لقد ظل محمد — صلى الله عليه وسلم — ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والوعظة الحسنة ، ولم يكن له من سلاح غير ثقته بالله وإيمانه بأنه على حق ، ولقد لاقى هو وأصحابه في سبيل هذه الدعوة من ضروب الفتن والاضطهاد ما لا يثبت عليه إلا الذين عمرت قلوبهم بالإيمان ، واستيقنت أنفسهم من نصر الله !

كان الرسول يوماً يصلي في الكعبة ، وبينما هو ساجد إذا بعتبة بن أبي معيط ، يطلا عنقه الشريف حتى كادت عيناه تبرزان ... وخنقه بردائه خنقاً شديداً ، والناس من حوله شامتون ، حتى أقبل أبو بكر مستعداً وخلص الرسول منه وهو يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟

ولما خرج إلى الطائف يدعو أهلها للإسلام ، أغروا به سفهاءهم فترصدوا له بالطريق وأخذوا يحصبونه بالحجارة حتى تخضبت قدماء بالدماء !

ولما أبى عمه أبو طالب أن يسلمه إليهم ليقتلوه تماهدوا على مقاطعة أوليائه من بني هاشم ، ودامت هذه المقاطعة ثلاث سنين لتي فيها هذ البيت الكريم من العنت والإرهاق أعظم البلاء ... وعذب عمار بن ياسر وأهله عذاباً شديداً ، فكان الرسول يمر بهم وهم في العذاب ويقول : صبراً آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة !

ومن ذلك أن أباجهل طعن سمية أم عمار بحرية فقضى عليها فشكا عمار ذلك إلى الرسول قائلاً : يا رسول الله ، بلغ منا العذاب

كل مبلغ ! فقال صلى الله عليه وسلم نزل « اصبر أبا اليقظان ، اللهم لا تعذب من آل ياسر أحدًا بالنار ! »

وفد استشهد أفراد هذه الأسرة الكريمة في سبيل الله ، ولم يبق منهم إلا عمار الذي كان يمدب حتى لا يبى ما يقول

ومن عذب في سبيل العقيدة بلال بن رباح كان مملوكاً لأمية ابن خلف ، فلما اعتنق الإسلام حنق عليه سيده وأمره بالرجوع إلى عبادة الأصنام ، فلم ينصح لأمره لأنه ذاق حلاوة الإيمان ، فأزله به ألواناً من العذاب : كان يطرحه على الرمضاء ، ويصهر على صدره دروع الحديد ، ويضع عليه الأحجار الثقيلة حتى قد ظهره ! وهو يهتف دائماً : أحد ، أحد ، إلى أن أقتله أبو بكر فاشتراه من سيده ، وأعتقه لوجه الله ...

وكثير غير هؤلاء ممن آمنوا بمحمد في مبدأ بعثته ، كانوا يلاقون العذاب المهون والبلاء العظيم ، حتى أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لمن ليس له أنصار يحمونه من هذا العدوان أن يفر يدينه إلى الحبشة ، فهاجر إليها جم غفيرة . واستأذن أبو بكر في الهجرة إليها فأذن الرسول صلى الله عليه وسلم له ، فلما كان على مسيرة يومين ، لقيه ابن الدغنة سيد قومه فسأله : أين تريد يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي ، قال : إن مثلك لا يبنى أن يخرج أو يخرج من أرضه ؛ ثم رجع به إلى قريش وأدخله في جواره ، على شرط أن يعبد الله فابتنى أبو بكر مسجداً بفتاء منزله ، وصار يصلي فيه ويتلو كتاب الله ، فكان نساء قريش وشبانهم يجتمعون حول داره ، يستمعون لتلاوته ، ويؤخذون بيلاعة القراءان وروعته ! ففرع القوم وشكوا أبا بكر إلى حليفه ، فأغظ الحليف لأبي بكر في القول وقال له : إما ألا تستملن بعبادتك ، وإما أن تعبد إلى ذمتي . فقال أبو بكر : إني أرد لك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل

\*\*\*

ككيف اجتمع هؤلاء الناس على محمد ؟ أبالسيف وهو أعزل لا يستطيع أن يعصم نفسه ؟ ومتى كان السيف وسيلة لتكوين المقائد في النفوس ؟

ولماذا باعوه أرواحهم يبدلونها رخيصة في سبيل دعوته ؟ أطمعاً في مال وهو فقير لا يكاد يملك من حطام الدنيا شيئاً ؟ ومتى

انظر إليه يأمر بالسلم إذا جنح إليها العدو ، ولو كان جنوحه خداعاً ومخاطلة : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم ؛ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين »

وماتم في معاهدة الحديبية ، يدل على مبلغ حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - على السلم وكراهية الحرب ، فقد رضى أن توضع الحرب بين المسلمين والشركين عشر سنين ، في الوقت الذي كان المسلمون يتحرقون على القتال ، وينتظرون منه كلمة واحدة ، يندفعون بعدها كالسيل الجارف صوب مكة ، حيث ينتصفون لأنفسهم وللإسلام من أولئك الذين أخرجوهم من ديارهم بنير حق ، فكان الرسول حائلاً بينهم وبين ما يشتهون ، حتى كادت تحدث بينهم فتنة عمياء لولا أن الله سلم ...

وكان الرسول يوصي أتباعه دائماً في الحروب بقوله : « اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ؛ لا تقفروا ولا تقولوا ولا تقتلوا وليدأ ولا امرأة ولا كبيراً فانياً ، ولا منزلاً بصومته ، ولا تحرقوا نخلاً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناءً »

هذه مبادئ الإسلام في الحرب ، وهي أرحم بالإنسانية وأشرف غاية من المبادئ السلمية - ولا أقول الحربية - التي تطبقها الدول القوية على الأمم الضعيفة باسم المدنية في هذا العصر . وإليك هذا الموقف الرائع النبيل ، حين فتح الرسول مكة ، وبكته الله من رقاب قريش ، وقد وقف على باب الكعبة والناس من حوله ينتظرون كلمة الفصل : فإما موت وإما حياة ؛ فقال لهم : ماترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . فكان ذلك سبباً في إسلام قريش بأجمعها ، وحقن دماهم ودماء المسلمين

فالقول إذن بأن الإسلام انتشر بالسيف فرية باطلة ، وإنما انتشر الإسلام بالحجة والبرهان ، وبساحة مبادئه ومبادئه أصوله . ولا عجب فهو الذي يقول : « لا إكراه في الدين قديين الرشد من التي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم »

محمد كامل ميم

« حلوان الحمامات »

كان للمال هذا السلطان القاهر على العقول والأفهام ؟ كلا ؛ لا بهذا ولا بذاك ، وإنما بهذا الدين الحنيف الذي استحوذ على العقول وأخذ بمجامع القلوب ، وبهذا الكتاب الذي لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي حين سمعه وفد الحبشة من القسس والرهبان ، خشمت قلوبهم وفاضت أعينهم وأسلموا لله رب العالمين ، فنزل فيهم قوله تعالى : « ... ولنجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين »

ولقد ظل المسلمون على هذه الفتنة الطاغية فترة من الزمن ، حتى إذا استفحل الخطب وعظم البلاء ، شرع الله لهم القتال دفاعاً عن النفس وذباً عن الدين ، فقال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بنير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » ، « وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير »

كان موقف الإسلام إذن موقفاً سليباً في حروبه الأولى ، لا يقصد به غير الدفاع عن أهله ، ورد عدوان المتدين . فلما استقرت قواعده ، وانتهت إليه الخلافة في الأرض ، كان عليه أن يقف موقفاً إيجابياً لحماية المؤمنين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور »

وهذا يدل على أن الحرب في الإسلام وسيلة لدرء المفسد وإقرار السلام ، لا إرضاء لشهوة الفتنة والاستعباد . وإذا كان الإسلام قد حث على الاستعداد الحربي بقوله : « وأعدوا لهم ما استلتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » فاتما يرى بذلك لإطفاء جذوة الحرب في نفوس الأعداء ، وهو ما يعرف في هذا العصر بالتسلح السلمي

وهذه مبادئه الحربية شواهد ناطقة بمدله ورحمته وإحسانه ،